القمر المنفي

شعر : أحمد غراب

استوقفتني ... ترى من أنت؟
– قافلةٌ من الخيالات تمشي بي وأمشيها
– من أين ؟
– من بؤرة النيران سيدتي
من القصيدة.. إني من قوافيها
من الحروف اليتامى .. مات معجمها
ومن بحار الرؤى باعت موانيها
– ما موطني؟
– كلماتي حين أكتبها
قصائدا في العشايا الصفر ألقيها
– لأين تمضى؟
– لماض فر من زمني
في بلدًة كنت يوما من نبييها
وكنت وحدي حضارات المياه بها
حين انبثقت غديرا في أراضيها
كانت علي شرفات الأفق مشرقة
مثل النبوءة في أبهى تجليها
– تحبها؟
– فوق ما يدري الهوى.... بلدي
حكاية أتلاشى حين أحكيها
غدا سأبحث عني في أزقتها
وفي حنايا الحنايا من حواريها
في الملح يقضم أكتاف الدروب بها
وفي الغبار الذي يكسو مبانيها
– كم عشتَ فيها ؟
– سنينا مالها عددٌ

مرت كما يمسح الدمعات باكيها
شبعت فيها ائتلاقا لا انطفاء له
أيام كان الضحى إحدى ضواحيها
وكانت الشمس تمشي في شوارعها
والريح للأعين الجوعى تعريها
وكانت الأنجم العذراء تدخلها
لتحتسي الصمت شايا في مقاهيها
وكم غفوت كقط في حدائقها
وكم وقفت كظبى في نواصيها.
أرهقت فيه مدار العمر في سفه
حتى استقالت نجومي من لياليِّها
وذات يوم توارى سحر والدتى
وأصبح العشب لا يرتاد واديها
كانت طفولية العينين نورسة
تعدو البحار إليها كي تحييها
وكنت أرنو الحروف الخضر تسكنها
والصيف ينزل ضيفا في مآقيها
أشم فيها تفاعيلا مزركشة
فسيفساء دمشق لا تضاهيها
وفجأة رحلت في الغيم تاركة
أدمى فصول التراجيديا أقاسيها
أما أبي فهو مزمار له زمنٌ
يشجي العشايا مواويلا ويدميها
يحكي رصيفٌ...
مشى يوما علي رئتي
وخلفه أغنيات لست أحصيها

يسائل الريح: هل صادفت قافية
مائية يتندي كل ما فيها؟
وكالنشيد المقفى ينحني ولها
يفتش الصمت عن رؤيا يناجيها
عن اللحون مياه الصمت تجرفها
والريح في شاطئ النسيان ترميها
عن جوقةٍ من طيور الفجر صادحة
طارت تسابق سربا من أغانيها
واليوم جاءت إليّ الأرض صارخةً..
أبوك ينفي هضابي من روابيها
أسفاره أتعبتني فهو مرتحلٌ
كنجمة لم تجد أفقا ليؤويها
همستُ في خجلٍ والحزنُ يقتلني
وتحت جلدي بلادٌ مات من فيها
(هذا أبي يبدأ المأساةَ... مقتحما
كلّ الخطوط وينسي كيف ينهيها)
يا أيها القمر المنفي...يا أبتي
إن السماواتِ لا تنسى محبيها
اهبط معي مَرة ..رنشدو لسنبلة..
في عرسها الأخضر اغتالوا مغنيِّها
اهبط فنحن بحارٌ لا مياه بها
ونحن أشرعةٌ باعت صواريها
ولا تسلني عن الأشعار يا أبتي
كل التفاعيلِ قد خانت قَوافيها